

لا شيء يبرر الانتظار، أوقفوا تمويل دولة الفساد الآن

علي الصراف
كاتب عراقي



هذا النظام لن يسقط ولن يتغير، إلا إذا انقطعت موارده. وهذه الموارد ملك الشعب العراقي. إنها ملك المحرومين والمظلومين الذين يدفعون من ملكتهم ثمن الجريمة التي ترتكب بحقهم كل يوم.

لا شيء، على الإطلاق، يبرر أن يستمر هذا الحال.

نعم، التظاهرات السلمية يجب أن تستمر وأن تتحول إلى عصيان مدني شامل. ويجب أن تظل رايات العراق تعلق وتعلو فوق الهامات، لتظل شاهدا على أمل بعراق يملكه الفقراء. كما يجب ألا يتورط أحد من المتظاهرين، وهم درع الحماية، بحمل السلاح. ولكن يتعين أن يعرف الحماية أنفسهم أن عليهم مسؤولية كبرى. وهي مسؤولية يجب أن ينهضوا بها الآن.

عندما تجف منابع تمويل الفساد، سوف يهرب الفاسدون بما نهبوا. لن يبقوا ساعة واحدة يوم لا تجد دولتهم سبيلا لدفع رواتب الجالوزة والجزائرين والرعاع من ميليشيات الحرس الثوري التي تتولى حمايتهم. صغار اللصوص لن يدافعوا عن كبارهم. ودولة العفن سوف تنهار، وتنهار معها مصالح أصحاب الضمانات المبتة، والجيوب الحية. لا شيء يبرر الانتظار. المعادلة واضحة، وهي بسيطة بساطة الحقيقة نفسها: إذا توفر التمويل، بقي الفساد، وبقي الفقر والظلم وضياح الكرامة.

العراقيون، أعني فقراءهم وعماتهم، أهل كرامة. وكرامتهم تُداس اليوم ببعال الولي الفقيه وأتباعه ولصوصه. وليس من الكرامة أن توفر سبيلا لهذا النعال لكي يرتع من مالك أنت، وحقق أنت، وحق أبنائك في الحياة.

لا شيء يبرر الانتظار. الشيء الوحيد الصحيح، في ظل هذه المأساة المتواصلة منذ 16 عاما، هو أن تذهب ارتفاع أسعار النفط في العالم. ضمير العالم الغربي مرتبط بجيوبه، فقط. وعندما تناثر الجيوب، تصحو الضمائر.

العراقيون يعرفون أكثر من غيرهم طبيعة تلك الضمائر. إنها ضمائر أذلال. ولكن إذا كان من المفيد توظيف قدرتها على النفاق، فيجب أن تناثر الجيوب.

لقد فشلت المقاومة المسلحة العراقية ضد الاحتلال في إكمال مهمتها، عندما تزكت موارد النفط تتدفق لدولة المحاصصات الطائفية. وذهب الصراخ الذي صرخته اندراج الرياح.

وما أن الكثيرين يصرخون مجددا الآن: إقطعوا موارد تمويل هذا النظام، وهو سوف يسقط من تلقاء نفسه. داعموه أنفسهم لن يصبروا عليه طويلا، لأنه في ذلك الحين سيكون قد فشل في حماية مصالحهم.

وسائل قطع الموارد كثيرة. والأدوات متاحة. والإمكانات متوفرة. وليس هناك، بعد أكثر من 260 قتيلًا وعشرة آلاف جريح و35 مليون محروم ومظلوم وجائع، ليس هناك أي مبرر لكي يحصل هذا النظام على درهم واحد من موارد النفط.

كل يوم يمضي دون ذلك، إنما يعني قتلى وجرحى جديدا يضافون إلى قائمة التضحيات.



الفشل الإيراني الأخير

ذلك إلى تمسك العراقيين بهم، وحرصهم على استمرار احتلالهم عشرات قادمة من السنين، أو ربما من القرون، ولتحقق إمبراطوريتهم الجديدة التي فاخر بها علي يونس قبل سنوات.

ولكن الله ستر. فقد ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة، وأذاقهم شر أعمالهم، مبكر، وعلى شاشات التلفزيون ومواقع التواصل أكثر الاحتلالات الفارسية فشلا وغباوة، وأقصرها عمرا وأقلها صلابة.

وسمعها، وهم صاغرون.

فبسبب سياساتهم العدوانية الاستفزازية التسلطية التي مارسوها ضد الشعب العراقي، وخاصة ضد أبناء طائفتهم، سرعان ما افترضوا وأصبوا مكروهين.

وبالتالي، وبالضرورة أيضا، افتضح من ياتمرون بامرهم، ويقومون بتنفيذ سياساتهم العدوانية الاستفزازية التسلطية، وصاروا مكروهين أيضا، وممجوجين مظهرهم، وهدفا مشروعا لثورة شعبية عراقية قائمة، لا تبقى ولا تذر فتغسل عهدهم وتعيد وطنها سالما ومعاين ويأحسن حال.

وهم، حتى بعد هذا الانفجار الشعبي النادر الذي زلزل الأرض من تحت أقدامهم، ما زالوا في نفس غباوتهم وحماقتهم وغرورهم بعمهون.

فبدل أن يدركوا أخطأهم، ويعتذروا عنها للعراقيين، ويطردوا وكلاءهم الفاسدين المتخسرين القتلته الجهلة المزورين، ما هم يحاربون ويصرون على مواجهة الطوفان بجريد من الإثم والعدوان، ومزيد من إراقة الدماء، لتكون نهايتهم أكثر وبلا وخزيا وعارا ومهانة، وليصبح خروجهم من العراق، ومن باقي المنطقة، بلا عودة، وإلى أبد الأبد.

بأعوام، رغم هتافهم بـ"الموت لأمريكا"، ورغم تهديدهم بـ"محو إسرائيل" في سبعة أيام.

ثم، بعد ذلك، بتفاهمهم وتعاونهم وتبادلهم الرأي والنصيحة مع المحتل الأميركي تم توليد نظام المحاصصة الطائفي والعنصري الحالي، الذي مهد لهم السبيل وجعل وكلاءهم وقادة أحزابهم وميليشياتهم العراقية تمسك برقبة هذا الوطن السليب.

ومع انسحاب القوات الأمريكية من العراق عام 2011، تسلم الإيرانيون الرابطة، وتمكنوا من وراثة وتثبيت احتلالهم العسكري والاقتصادي والسياسي، مباشرة، أو عبر أحزابهم المكلفة بالهيمنة الكاملة على القرار في العراق، ويوضع اليد على كامل مفاصله الأمنية والعسكرية والمالية والنفطية والتجارية، وتهيئة المسرح لجعل الاحتلال إيرانيا دائما ونهائيا وإلى أبد الأبد.

ثم في عام 2014 استغل النظام الإيراني ظروف الحرب ضد "داعش" ليؤسس الحشد الشعبي الذي حوَّله في أقل من عامين إلى حرس ثوري إيراني عراقي يدير كل شيء، من رئاسة الجمهورية والوزراء والبرلمان، إلى وزارات الداخلية والدفاع والمالية والخارجية وحتى الثقافة والإعلام.

هذه هي الحكاية من "تطلق سلام عليكم"، وبحساب بسيط يمكن تحديد العمر الفعلي للاحتلال الإيراني للعراق، من بدايته وحتى انطلاق الانتفاضة الشعبية الحالية، بثمانين سنة، فقط لا غير. وهذا، في حساب اعمال الشعوب والأمم، يعد غمامة صيف عابرة لم تستطع أن تطيل بقاها أكثر من ذلك، وهو الفشل بعينه والخيبة والغباء. والثابت تاريخيا أن الاحتلالات

بالتحديد، في 8 مارس 2015 بلغت الغباوة والغرور والعرجة بمستشار الرئيس الإيراني للشؤون الدينية والأقليات، علي يونس، حد القول: "إن إيران اليوم أصبحت إمبراطورية كما كانت عبر التاريخ، وعاصمتها بغداد حاليا، وهي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا كما في الماضي. إن جغرافية إيران والعراق غير قابلة للتجزئة، وإن ثقافتنا غير قابلة للتفكك. إن كل منطقة الشرق الأوسط إيرانية وكل شعوب المنطقة جزء من إيران، ونحن نريد تأسيس اتحاد إيراني في المنطقة".

هذه النفخة العنصرية الكاذبة لم تكن مقصورة على يونس وحده، بل سبقه إليها قادة كبار عسكريون ومدنيون آخرون، رغم أنهم يعرفون جيدا أن احتلالهم للعراق لم يأت بشجاعة جيوشهم وميليشياتهم وأحزابهم التي فشلت في تحقيقه في ثمانين سنوات من حرب دامية، كلفت الشعبين والبلدين مئات القتلى والجرحى المفقودين وقناطير الأموال التي كان يجياع الشعبين أولى بها وأحق.

وحيث نعود إلى بداية الحكاية، يمكننا القول إن المرشد الأعلى الإيراني وكبار أعوانه ومستشاريه، لا يستطيعون أن ينكروا أنها كانت مكافأة تكريم بها عليهم "الشيطان الأكبر" نمنا لخدماتهم السياسية والأمنية والعسكرية، التي قدموها له منذ بداية العام 1991، أيام المعارضة العراقية السابقة، وحتى الغزو الأميركي الفاشل عام 2003، وبعده

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

بالتحديد، في 8 مارس 2015 بلغت الغباوة والغرور والعرجة بمستشار الرئيس الإيراني للشؤون الدينية والأقليات، علي يونس، حد القول: "إن إيران اليوم أصبحت إمبراطورية كما كانت عبر التاريخ، وعاصمتها بغداد حاليا، وهي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا كما في الماضي. إن جغرافية إيران والعراق غير قابلة للتجزئة، وإن ثقافتنا غير قابلة للتفكك. إن كل منطقة الشرق الأوسط إيرانية وكل شعوب المنطقة جزء من إيران، ونحن نريد تأسيس اتحاد إيراني في المنطقة".

هذه النفخة العنصرية الكاذبة لم تكن مقصورة على يونس وحده، بل سبقه إليها قادة كبار عسكريون ومدنيون آخرون، رغم أنهم يعرفون جيدا أن احتلالهم للعراق لم يأت بشجاعة جيوشهم وميليشياتهم وأحزابهم التي فشلت في تحقيقه في ثمانين سنوات من حرب دامية، كلفت الشعبين والبلدين مئات القتلى والجرحى المفقودين وقناطير الأموال التي كان يجياع الشعبين أولى بها وأحق.

العراق: ثورة متجذرة وسلطة رافضة للإصلاح

سوء الأداء الاقتصادي. راقب العراقيون هذا النهب المنظم والشره لموارد البلاد منذ 15 عاما وهو لا يني يتكفف ويتوسع حتى لم تعد مؤسسات الدولة سوى آلة قمع متمثلة بالأمن والجيش. حتى هذه الأخيرة أظهرت عجزها التام وفسادها المزمن في مواجهة تنظيم داعش عام 2014، حين تهاوت خلال أيام أمام عناصر التنظيم الإرهابي.

كانت الثورة نتيجة تراكم تلك المظالم وتشديد خناقها على الشباب بصورة خاصة. ذلك أن نحو ستين بالمئة من السكان هم دون الرابعة والعشرين من العمر. هذا خزان بشري هائل وطاقة لا يمكن للسلطة العراقية، وحتى بمساعدة ودعم طهران، أن تجيقها حبسية القمقم. قبل أشهر فقط، كانت الأحزاب الطائفية الحاكمة تدفع العراقيين إلى التظاهر والمطالبة بخروج القوات الأمريكية من بلادهم، لكن الملايين من العراقيين اليوم يطالبون برحيلها هي بالذات ويرفع يد إيران عن سيادة العراق ومستقبله.

الوزارية الجدد أثناء تشكيل الحكومة. هذا التقاسم هو جوهر مشاورات تشكيل أي حكومة في العراق. فلا ضير في أن تمتد لأشهر حتى يحصل توافق يرضي الأطراف المنخرطة. ليس هنالك مشاورات حول البرنامج الاقتصادي الأمثل، ولا دراسة جادة لأوضاع السكان المتدهورة بحد، بل تركز القوى السياسية جهودها على ضمان حدوث "تقاسم عادل" لثروة الشعب العراقي فيما بينها.

وبعد تشكيل الحكومة، يتسابق الوزراء الجدد إلى منح الوظائف الحكومية لأفراد من أحزابهم وتكتلاتهم السياسية وأقربائهم. أدى ذلك إلى تضخم أعداد موظفي الدولة بصورة هائلة من نحو 850 ألفا في العام 2004 إلى نحو 7 ملايين موظف في العام 2016. فضلا عن ذلك، يقوم الوزراء الجدد بمنح الاستثمارات والوكالات الاقتصادية للشركات المرتبطة بشبكتهم الزبائنية وبداعمهم الإقليمي، أي إيران. وبطبيعة الحال لا تجري محاسبة هذه الشركات وتتبع أداؤها، وهو ما يقام

الأوصاف. مع ارتفاع حصيلة الشهداء، استعر الغضب الشعبي وارتفعت أثمان التراجع عما بدأه العراقيون. يبدو طريق التغيير مكلفا وعسيرًا، لكن التراجع عنه بات أكثر كلفة وأشد إيلاما. "لا يوجد ما نخسره" يصرخ المتظاهرون على شاشات التلفاز رافعين قبضاتهم ومتوعدين السلطات بمواصلة الثورة.

بالفعل، لم تترك القوى الحاكمة حتى الفئات، الذي كان يعين شرائح واسعة من العراقيين في حياتهم المضنية. يستغرب أحد الشبان المحتجين من فكرة أن بلاده تملك رابع أكبر احتياطي النفط في العالم فيما يحصل هو على رزقه الشحيح من عربة لبيع الخضروات. لكن شراهة التحالف الأوليغارشي الحاكم لا تعرف حدودًا، إذ لم يسر كل موارد البلاد، بل صادر حتى العربة التي يعمل عليها هذا الشاب.

يلتهم الفساد القائم على المحاصصة الطائفية موارد الدولة وقدراتها على تقديم الخدمات. فقد كل انتخابات برلمانية، تقاسم الكتل المهمة الحقائق

سلام السعدي
كاتب فلسطيني سوري

اكتشف العراقيون بعد ثورتهم التي انطلقت قبل نحو شهر مهمة جديدة للطبقة السياسية الحاكمة، فضلا عن وظلفتها الرئيسية المتمثلة في نهب موارد الدولة، وهي الدفاع عن القنصلية الإيرانية وكل ما يرتبط بطهران في بلادهم. إذ قتلت قوى الأمن والميليشيات الطائفية المرافقة لها السفارة الإيرانية في مدينة كربلاء. تنشر السلطات القنصاة على أسطح المباني التابعة لطهران وميليشياتها وتعمل على اصطيد المتظاهرين بدم بارد، رافعة حصيلة الشهداء بصورة مستمرة. لكن أساليب القمع الوحشي، التي تستخدمها السلطة أصبحت ترتد عليها. فقتل المتظاهرين لم يفعل إلا أن ألهم مشاعر النعمة ودفع حراكا شعبيا محدودا للتحول إلى ثورة شعبية كاملة